



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الشباب

إعداد

الدكتور أحمد محمد كروم

جامعة محمد الخامس - أكادال أبوظبي

الإمارات العربية المتحدة

مقدم إلى

مؤتمر مكة المكرمة السادس عشر

الشباب المرسلين والإعلام الجديد

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣-٤ / ذو الحجة / ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٦-١٧ / سبتمبر / ٢٠١٥ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ - ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تليكس: ٥٤٠٠٠٩ و ٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب : (٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد وعلى آله وصحبه ومن
والاه، وبعد:

تحديد مشكلة البحث:

لاشك أن الإعلام الجديد (New Media) بمختلف روافده؛ له إيجابيات
متعددة في تطوير الاتصالات التقليدية، وفي إبداع الجانِب الرقمي الحديث
(Digital Media) الذي يتصل بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ بحيث
اجتهد هذا النوع من الإعلام في تطويرها وجعلها مندمجة علمياً ومعرفياً لتكون
في خدمة المجتمعات العالمية، كما برع الإعلام الجديد في تطوير قطاعات
مختلفة كالتعليم والتنمية المجتمعية ونشر المعرفة، وإنتاج المعلومات
وتخزينها، واجتماعياً لا ينكر فضلُه في فك العزلة التقليدية التي كانت تعيشها
الشعوب لقرون عديدة، لتجد نفسها منفتحة على فضاء تعارفي عالمي لا
محدود، تتصرف فيه بحرية كاملة بلا قيد ولا شرط.

وإذا كنا لا ننكر هذه الإيجابيات للإعلام الجديد، فإننا لا نستطيع أن
نتجاهل الآثار السلبية المقلقة التي ترتبت عليه وعلى إمكاناته التكنولوجية
الآخذة في التطور، خصوصاً إذا نظرنا إلى مصدر هذا الإعلام، وطبيعة مَنْ
يمتلكه ويحتكر إمكاناته وهو يختلف معنا عقائدياً وفكرياً، فما يُعدُّ عنده مباحاً
عادياً؛ له ضوابط في ديننا الحنيف، وما هو عنده ثقافة؛ لها تأثيرات عكسية على
المتلقّي؛ خصوصاً الشباب والقاصرين الذين لا يتوفر لديهم الوعي لانتقاء
المعلومة وأخذ ما ينفع، وترك ما يضر.

وكل هذا يدعو الباحثين والمفكرين والحكومات والمؤسسات والهيئات العلمية في البلدان الإسلامية والعربية؛ إلى التفكير في وضع ضوابط للترشيد التواصلي في تعامل الشباب مع شبكات التواصل الاجتماعي؛ بحيث تُطمئنهم على مستقبلهم، وتهتم بقضاياهم، وتشجع التفاعل مع ما ينمي فكرهم وذاتهم، خصوصاً وأن وسائل الإعلام الجديد انتشرت وتوسعت رقعة استقطابها بين الشباب، واستفحل تأثيرها يوماً بعد يوم.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية كبرى تتساءل عن موقع الشباب العربي في ثقافة التواصل الاجتماعي، باعتبارها تمثل سلطة تكنولوجية تأثيرية جديدة ذات منظومات معقدة، لا تلتزم بحدود الدول، ووسائلها تتخطى حواجز اللغة والزمان والمكان لتخاطب مستهلكين من أعمار مختلفة، وسنحاول المزاجية بين الجانب التطبيقي والنظري في تحليل هذه الفرضية وتساؤلاتها في محاور منها:

أ- مصلحة التواصل الاجتماعي وموقع شبابنا من هذه الظاهرة:

وهو تساؤل حول أهداف ثقافة التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد، وما أحدثته من تغييرات وتأثيرات بالنسبة لشبابنا، ثم البحث عن طرق مواكبة ألياتها واستثمار إمكاناتها بمسؤولية وطنية.

ب- وسائل التواصل الاجتماعي والمفاهيم الاستقطابية للشباب:

ومن هذه المفاهيم: «التعارف» و«التضامن» و«الصدقة» وغيرها من المفاهيم الجذابة التي تبدو إنسانية في ظاهرها؛ ولكنها تخفي في باطنها آفات اجتماعية قد تؤدي إلى تلويث عقول الشباب وتسفيه قيمهم، وقد تستهدف بنية السلوك الأسري وتهدد تماسك أفرادهم.

ج- ضوابط الثقافة الموجّهة للشباب في تعاملهم مع شبكات التواصل الاجتماعي:

إن غياب الضوابط الثقافية الهادفة؛ يجعل من التواصل أو (الدردشة) التي تجري في معظم الوسائل الإلكترونية؛ عبارة عن لغوٍ فارغٍ أو معاكساتٍ، أو شتائم متبادلة، يفتقد أطرافها إلى أقدار كافية من المعرفة الهادفة والتوجيه الأخلاقي في التحاور.

د- أهمية التفاعل الإلكتروني في التنمية الاجتماعية وإذكاء الطموح الذاتي للشباب:

معظم التحديات الناجمة عن الإعلام الجديد؛ ذات تأثيرات سلوكية واجتماعية، لذا وجب التدخل في توجيه مواقع التواصل الاجتماعي نحو مشاركة الشباب في قضايا المجتمع، والدفاع عن قيمه النبيلة التي هي جزء من تعاليم ديننا الحنيف، واعتبار الصفحات الخاصة على مواقع (فيس بوك، تويتر، المدونات)؛ معبرة عن سلوك أصحابها، ويجب أن توجه نحو التعبير عن الطموحات الذاتية للشباب في المجال الثقافي والاجتماعي والفكري، والتعبير عن تضامنهم ومناصرتهم لقضايا وطنهم عند الاقتضاء.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث منهج الوصف والتحليل، من خلال الأطر المفهومية والنظرية المتصلة بظاهرة التواصل الاجتماعي، ومحاولة ربطها بالواقع العملي التجريبي؛ سعياً إلى الكشف عن أهدافها وآليات اشتغالها وتأثيرها وصولاً إلى استخلاص الدروس حول كيفية الاستفادة من إيجابياتها، والفرص التي تقدمها من الناحية المعرفية، والتفكير في تقليص تأثيراتها السلبية خصوصاً بين فئات الشباب.

أولاً: مفهوم التواصل الاجتماعي ومقصد التعارف في الإسلام.

«التواصل» هو الآلة التي بواسطتها توجد العلاقات الإنسانية وتتطور^(١).

والتواصل في الإسلام يهدف «للتعارف»، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فتشير الآية ومثيلاتها إلى أن «التعارف» مفهوم إنساني عام، يشمل مفاهيم أخرى كالتواصل والإعلام بمشتقاته، يقول ابن منظور: «الإعلام كلمة مشتقة من الفعل أعلم، ومعنى أعلم: قام بالتعريف والإخبار لغيره، والفعل الثلاثي علمه أي عرفه، ويجوز أن نقول علمته الشيء بمعنى عرفته وخبرته»^(٢).

يقول القرطبي في تفسيره: «خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى أنساباً وأصهاراً وقبائل وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها وهو أعلم بها»^(٣).

ويُعلّل ابن كثير امتداد مفهوم «التعارف» في الإسلام ليشمل شبكة العلاقات الاجتماعية والإنسانية الكبرى التي تربط بين المسلم وأخيه أو بينه وبين الآخر؛ سواء أكان ذلك الآخر فرداً أم مجتمعاً، وذلك في إطار من الموضوعية والمنهجية والانضباط والاحترام للمعتقدات والأديان، واحترام المواطنة والتسّاكُن، فقال في تفسيره للآية السابقة: «أي ليحصل التعارف بينهم؛ كل يرجع

(1) Charles Horton Cooley, Hans-Joachim Schubert, On self and social organization, University of Chicago Press, 1998, p 46.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة (علم).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،

إلى قبيلته»^(١)، وربط الألووسي في تفسيره مفهوم «التعارف» بعلّة الجعل والاستخلاف الذي يشترك فيه أهل الأرض جميعاً، فقال: «﴿لِتَعَارَفُوا﴾ علةٌ للجعل، أي جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً»^(٢).

وجاء مفهوم «التعارف» في السنة النبوية ليؤكد القيم الإنسانية للأطراف المتعارفة أو المتواصلة مثل: «قيمة الإنسان»، و«قيمة التواصل»، و«قيمة التقوى»، بوصفها مقياساً أخلاقياً للتفاضل والتكريم، كما أكد ذلك قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٣)، فالإسلام لا يمنع التعارف أو التواصل مع الآخر بجميع أشكال التعارف والتفاعل والتعاون الإيجابيِّ البّناء؛ المنبثق عن الإحسان والرفق والرعاية والعناية، فرداً أو مجتمعاً، وهذا التعارف يجب أن تكون له مقاصد خلقية وأدبية؛ منها:

- أ- الوصول إلى ما فيه مصلحة كلا الطرفين ديناً ودنياً، حالاً ومآلاً.
- ب- وضع ضوابط لهذا التعارف الإيجابيِّ في جانب الفكر، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والثقافة، والتربية.
- ج- الاسترشاد فيه بالمنهج الراسخ المستخلص من الكتاب والسنة الصحيحة.

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، ٢١٨/٤.
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألووسي، المجلد التاسع، ج ١٣-١٤/٣١٣.
(٣) حديث جابر رضي الله عنه في خطبة الوداع، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في حفظ اللسان، فصل: ومما يجب حفظ اللسان منه: الفخر بالأباء، ١١/١٣٠، وقال: في هذا الإسناد بعض من يُجهَل.

ثانياً: التواصل الاجتماعي وموقع الشباب المسلم فيه.

نقصد الفئات الشبابية المتعلّم منها وغير المتعلّم، فوسائل التواصل الاجتماعي تستهدف توجّهات كل الشباب؛ فالشباب الجامعي يجد موقعه في ثقافتها التواصلية والولوجية للمواقع المعرفية، وغير المتعلّم تُفتح له آفاق التعارف العالمي والمِهني، والقاصر يجد فيها مواقع للتسلية والترفيه، ولا بد أن يكونوا جميعاً على وعيٍ بتطور هذا الطيف الجديد من الإعلام بأشكاله المختلفة، التي تسعى إلى مغازلتهم واستقطابهم بمختلف الوسائل في محاولة لجذبهم، إن لم يكن لاستمالتهم وكسب ولائهم.

وهذا النموذج من الإعلام الجديد، ينبغي فهمه ضمن المميزات التي تكلم عنها الباحثون، يقول فين كروسي: «لكي نفهم الإمكانيات التي تقف وراء قوة الإعلام الجديد؛ علينا أن نتذكر أن ملايين الكومبيوترات التي تمثل شبكة الإنترنت، تقوم بالحصول على المعلومات وفرزها ونقلها لعدد غير محدود من البشر، وهؤلاء يمكنهم إجراء عملية اتصال بينهم في وقت واحد، في بيئة تسمح لكل فردٍ مشارك، مرسلًا كان أو مستقبلًا، بفرصٍ متساوية من درجات التحكم، كذلك عندما يقوم أيُّ منا بزيارة موقع صحافي على شبكة الإنترنت، فإننا لا نرى الأخبار والموضوعات الرئيسة فيه فقط، ولكننا نرى أجزاء من الموقع مخصصةً لتلبية الاحتياجات الفردية الخاصة بالزائر، ولا يعني هذا الأمرُ الزائرَ وحده، وإنما عملية التخصيص هذه تتم لملايين الزوار في وقتٍ واحد، ولا يمكن أن يتحقق هذا الأمر في ظروف نُظم الاتصال السابقة»^(١).

(١) «الإعلام الجديد: دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة»، لعباس مصطفى صادق، مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، ٢٠٠٧، ص ١٧٠.

وهذه المواقع - كما يرى مصطفى صادق - تتميز بكونها: «مواقع إلكترونية اجتماعية على الإنترنت، وتعتبر الركيزة الأساس للإعلام الجديد أو البديل، التي تتيح للأفراد والجماعات التواصل فيما بينهم عبر هذا الفضاء الافتراضي»^(١)، وكونها تعبر عن العلاقات الاجتماعية لأنها نتيجة التفاعل الاجتماعي (التأثير والتأثر أو الأخذ والعطاء) بين شخصين يشغلان موقعين اجتماعيين داخل الجماعة أو التنظيم أو المؤسسة الاجتماعية^(٢).

وقد عززَ هذا النوعُ من الإعلام الافتراضي موقعه التواصلي، متجاوزاً ما كان عليه الإعلام التقليدي، بحيث لم يعد فقط مخاطباً ناقلاً للأخبار القطرية أو الكونية فحسب؛ بل أصبح وسيلة إعلامية استقطابية للشباب الذين تفاعلوا مع منتجاته عبر الوسائط والأدوات التي أتاحتها ثورة الاتصالات التي اقتحمت مجال الاستخدام المدني العام للإنسان، ومن ثم أصبحت تظهر بدهة مواقع مغربية لـ «التعارف» أو «التواصل» الاجتماعي: «فيسبوك» و«تويتر»، ومواقع تحميل مقاطع الفيديو: «يوتيوب»، والمدونات (Blogs)، إضافة إلى الهواتف المحمولة^(٣).

وأصبح الشباب ينظر إلى هذه الوسائل على أنها «مفتاح الخير» لمشكلاتهم الاجتماعية كالفراغ، والتغيب، والتهميش، الشيء الذي جعلها تتجاوز مجرد

(١) الإعلام الجديد.. المفاهيم والوسائل والتطبيقات، لعباس مصطفى صادق، دار الشروق للنشر والطباعة، ٢٠٠٨، ص ٢١٨.

(٢) البناء الاجتماعي.. أنساقه ونظمه، لمعن خليل، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ٣، الأردن، ١٩٩٩، ص ٧٧.

(3) Martin Lister, et al., New Media: A Critical Introduction, London, Routledge, 2nd ed., 2009, p. 13

قناة لإفراغ الشحنة العاطفية؛ إلى كونها قناةً للحوار والمعرفة، تُظهر مصلحة التعاطف مع الأوضاع النفسية والاجتماعية للشباب، لتصنع منها قضايا للتواصل الاجتماعي المشترك، فتعمّق آلامهم وتمدّد سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، فتحوّلها إلى قضايا وإشكالاتٍ معقّدة قابلةً للتمدد والانتشار عربياً ودولياً؛ بمعنى أن نظام التواصل الاجتماعي أصبح يمثل أنموذجاً للامتداد والتوسع الثقافي في مناطق جغرافية وفق تعبير أنتوني جيندز (Anthony) (١) و (Giddens)، وأنها فصلت المكان عن الهوية، وقفزت فوق الحدود الثقافية والسياسية، وقلّلت من مشاعر الانتماء أو الانسحاب إلى مكان محدد، حتى أصبح مفهوم المجتمع المحلي أو الواقعي متلاشياً، وأصبحت مجموعة من الناس تشكي فيما بينها في تفاعل اجتماعي بغض النظر عن الروابط المشتركة بينهم، وتشترك في مساحةٍ ما على الأقل لبعض الوقت (٢).

وقد أخذت هذه الوسائل في الانتشار بين الشباب العربي على الخصوص؛ بحيث سجلت آخر الإحصائيات التي نشرها الموقع العالمي (GO-Gulf.com)، أن ٨٨٪ من إجمالي مستخدمي الإنترنت في الشرق الأوسط؛ لديهم حساب واحد على الأقل في أحد مواقع التواصل الاجتماعي، وأن اللغتين العربية والإنجليزية هما في الصدارة، حيث تبلغ نسبة استخدام اللغة الإنجليزية ٤٨٪، ونسبة استخدام اللغة العربية (ولهجاتها) ٤٥٪ من إجمالي اللغات المستخدمة في مواقع التواصل الاجتماعي.

(1) Anthony Giddens, The Constitution of Society, University of California Press, 1986, p272-273

(٢) علم الاجتماع الآلي، لعلي محمد رحومة، عالم المعرفة، الكويت، ب-ط، ٢٠٠٨، ص ٦٤.

أما عن أكثر المواقع انتشاراً، فتشير الإحصائيات إلى أن موقع الفيس بوك Facebook هو الأشهر، حيث يبلغ عدد مستخدمي الفيس بوك في المنطقة ٥٨ مليون مستخدم تقريباً، ويتلوه موقع تويتر Twitter وعدد مستخدميهِ ٦, ٥ مليوناً، ثم موقع لينكد إن LinkedIn ٥, ٨ مليون مستخدم.

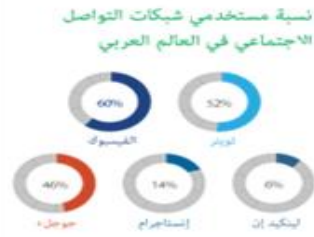
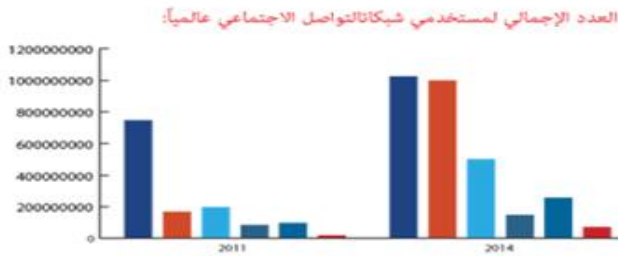
وانتقالاً إلى الإحصائيات حول المستخدمين، فإن المعلومات تشير إلى أن ٦٥٪ من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي من الذكور والإناث ٣٥٪، أما الفئات العمرية، فأغلب فئة تستخدم الإنترنت: ما دون ٢٤ عاماً، و٣٢٪ من الفئة العمرية ٢٥-٣٤ عاماً، و١١٪ للفئة ذات ٣٥-٤٤ عاماً، أما من يفوق عمرهم الرابعة والأربعين، فإن نسبتهم تصل إلى ١٢٪.

ويتوزع المستخدمون بشكل غير متساوٍ في منطقة الشرق الأوسط، حيث تحتل المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة الصدارة في منطقة دول الخليج بنسبة تبلغ ٨٠٪ تقريباً، وفي المقابل فإن ١ من كل ٤ مستخدمين للفيس بوك في الشرق الأوسط؛ هم من مصر.

وقد أدت التطورات السياسية الحالية التي تجري في العالم العربي إلى التأثير المباشر على اتجاهات وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة في السنوات الثلاث الماضية، وأظهر نمو وسائل الإعلام الاجتماعية في ٢٠١٣ / ٢٠١٤؛ تفوق «الفيسبوك» بأكثر من مليار مستخدم نشط في جميع أنحاء العالم؛ بسبب سهولة التدفق التواصلي والدخول المتاح، كما أُجريت كثير من الدراسات في هذا المجال، فأظهرت زيادة استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية بين المستخدمين العرب.

إحصائيات عن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي - إنفوجرافيك (2014/2013)

حقائق



- 1.23 مليار مستخدم مسجل على الفيس بوك مقارنة بـ 750 مليون مستخدم عام 2011.
- مليار مستخدم مسجل على جوجول+ مقارنة بـ 170 مليون مستخدم عام 2011.
- 500 مليون مستخدم مسجل على تويتر مقارنة بـ 200 مليون مستخدم عام 2011.
- 150 مليون مستخدم مسجل على إنستغرام مقارنة بـ 80 مليون مستخدم عام 2011.
- 259 مليون مستخدم مسجل على لينكد إن مقارنة بـ 100 مليون مستخدم عام 2011.
- 70 مليون مستخدم مسجل على Pinterest مقارنة بـ 11 مليون مستخدم عام 2011.



وكنموذج لدراسة الحالة العربية؛ كشف تقرير برنامج الحوكمة والابتكار في كلية محمد بن راشد آل مكتوم للإدارة الحكومية، بالتعاون مع نادي دبي للصحافة، أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يشهد تزايداً مطّرداً في العالم العربي وبخاصة دولة الإمارات، إذ تضاعف عدد مستخدمي فيسبوك في دولة الإمارات ٣ مرات في الأعوام الأربعة الماضية، وارتفع من ٦, ١ مليون مستخدم في يونيو ٢٠١٠؛ إلى ٥ ملايين مستخدم في أكتوبر ٢٠١٤؛ بنسبة انتشارٍ وصلت إلى ٦٠٪.

وأظهر التقرير أن الإمارات وقطر من أوائل الدول العربية المستخدمة للفيسبوك، إذ استخدمه ٦٠٪ من الإمارات، و٦٢٪ من قطر، ويستخدم ٧٨٪ من سكان الإمارات الصفحات الحكومية على الإعلام الاجتماعي؛ لتقديم اقتراحات أو التواصل مع مسؤولين حكوميين أو إبداء مقترحات أو تقييم للخدمة الحكومية، وهذه الاستعمالات التطبيقية وتفاعلاتها؛ تعبّر عن جانب من جوانب حوكمة وسائل التواصل الاجتماعي؛ بحيث تُبعد حالة القلق عن الشباب العربي في علاقته مع وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال التحكم في الظاهرة والاهتمام بتوجيهها وتنميتها وطنياً، ودراسة تأثيراتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتفيد الاستعمالات التطبيقية لوسائل التواصل الاجتماعي؛ في وضع مناهج بحثية موحّدة في دراسة موقع الشباب العربي في هذه الوسائل، وتحديد طريقة موحدة في جميع البلدان العربية لكونها تتقاسم المصير نفسه عقائدياً وثقافياً.

ولما كان الموقع يتحدد بمؤشرات؛ فإن العالم العربي بحاجة إلى الأنشطة التي تراكم الأبعاد التطبيقية والبحثية، كالدوة العالمية للشباب الإسلامي، والتقارير البحثية، والمؤتمرات الدولية المتخصصة، التي لها دور كبير في رصد

واقع الشباب عن طريق المؤشرات الدقيقة التي تحملها توصياتها؛ كالمؤتمر الدولي العاشر حول (وسائل التواصل الاجتماعي.. التطبيقات والإشكالات المنهجية)^(١)، الذي نظّمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلةً بكلية الإعلام والاتصال، بمشاركة نخبة من الباحثين والمتخصّصين من ١٥ دولة عربية وإسلامية وأجنبية، وهو مؤتمر متخصص تأسّس في المعالجة المحورية لرصد مؤشرات ظواهر الإعلام الجديد؛ بحيث رصد موقع الشباب العربي بكل أطيافه؛ في فضاء التواصل الاجتماعي، هذا الفضاء الذي تخطى كونه وسيلة تواصل بين الأفراد والجماعات الصغيرة، إلى أدوار اتصالية فاعلة في السياقات المؤسسية في مختلف المجالات الإعلامية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

(١) المؤتمر الدولي العاشر حول (وسائل التواصل الاجتماعي.. التطبيقات والإشكالات المنهجية) ٩-١٠ من مارس ٢٠١٥.

ثالثاً: التواصل الاجتماعي ومحاذير الاستقطابية.

«الاستقطاب» Polarization و «التفاعل» Interactivity: أهم العوامل التي تميز المرجعية التواصلية الجديدة، وهما شعاران منهجيان يعتمدان في امتداداتهما على جعل هذا النوع من الإعلام «إعلاماً بديلاً» Alternative Media عن الوسائل الإعلامية التقليدية، وبديلاً جديداً يتخذه الجمهور للتنظيم والتعاون والتدريب بين أفراد المجتمع، وربما طرقاً يمارس فيها النقد، ويولد الأفكار^(١).

وكلمة «بديل» أكثر انسجاماً في وصف الجانب التواصلية لهذا النوع من الإعلام في استقطابه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للشباب المتفاعلين معه، لكونه ينحدر من مرجعية بديلة تأخذ من مبدأ حرية التعبير والاستقلال الذاتي، والتحرر من كل الالتزامات الفكرية أو الاقتصادية القائمة، واستقطاب حالات الإقصاء التي قد يتعرض لها الشباب أو المهتمّين منهم. وقد ارتبط هذا النمط من الإعلام الجديد، بمحاذير كثيرة قلّصت من منافعه وإيجابياته، حتى أصبح يُنظر إليه على أنه مصدر للاستقطاب العشوائي والتأثير السلبي.

محاذير الأبعاد الاستقطابية.

ترجع محاذير الأبعاد الاستقطابية في الإعلام الجديد إلى عوامل؛ منها:

(١) يرجع إلى ما كتبه جون هارتلي وآخرون: الصناعات الإبداعية، ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٧، ١٤٤ - ١٤٥.

أ- أنه إعلام عولمي يدعو إلى التحرُّر المطلق:

جلب مفهوم التحرُّر الذي يحمله الإعلام الجديد عبر وسائله التواصلية؛ آفاتٍ خطيرة بالنسبة للشباب متزوِّجين أو غير متزوِّجين؛ بحيث قلب المفاهيم وجرد مبادئ الأخلاق من محتواها الروحي، فاستبدل الخيانة الزوجية بالزمانة أو الصداقة، وحوّل المودة والرحمة إلى الحب الوهمي والنفاق الأسري، فشرّدت الأسر، وتلاشى العطف الأسري بسبب «نجوى التواصل» داخل الأسرة، وكثر الطلاق لأنفه الأسباب حتى صارت الأرقام مخيفة في المجتمعات الإسلامية والعربية، وذلك لاستغناء الزوجين أو أحدهما بغيره، وغياب الثقة الزوجية بينهما، وانعدام المودة والسكينة، فيقع الطلاق وتتفكك الأسرة التي هي الركن الأساس لبناء المجتمع^(١)، كما أسهمت هذه المواقع في تلوين التصورات الفطرية للشباب بما تقذفه من أفلام وصور إباحية تدمر الأخلاق والسلوك والمعتقدات.

وترى الإحصائية الصادرة عن محرك «ياهو» للبحث في الإنترنت؛ أن هناك شخصاً كل دقيقة ونصف يبحث عن موقع له علاقة بالجنس، وهو ما يعني أن هناك أكثر من نصف مليون شخص يبحثون يومياً عن مثل هذه المواقع في الإنترنت^(٢).

وقد فاقم هذا الوضع من ظاهرة العنوسة التي يعاني منها الشباب العربي، وأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي تقوم بدور «الخاطبة» التي شوّهت شرف

(١) انظر: خطر التبرج والاختلاط، لعبد الباقي رمزون، ص ٨١، و: خطورة الاختلاط، للشيخ ندا أبو أحمد، ص ٢٧.

(٢) انظر: الإعلام والعولمة والهوية، المؤثر والمتأثر، لعابدين الشريف، ص ١٨٢.

البنات والبنين وفضحت أسرارهم، فكانت سبباً في ازدياد أمد العنوسة بدل أن تجد لها حلاً جذرياً، وذلك بسبب الخلط بين الثقافات في تصوراتها العالمية، وبسبب الحرية الفردية وغزوها للشباب بدافع الاستقلالية والتحرر، وعدم الجدية في التفكير في المستقبل السليم، فسيطر التواصل الاجتماعي على حال ومآل الشباب، مقترحاً وعوداً فارغة، والتزامات كاذبة تضيّع الأوقات والأعمار.

ب- الإفراط في الخلوّة والانعزالية:

لا ننكر الفائدة الفردية والجماعية لوسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التثقيف، وإسهامها في تعزيز الإفراط في واقع العزلة التي أصبحت محببة لدى الشباب داخل الأسرة الواحدة، حتى أصابها نوع من التفكك الاجتماعي الذي أدى إلى معانٍ سلبية، كفتور المشاعر والملل والإهمال^(١).

والسبب في ذلك: نشر أنماط جديدة من القيم والسلوكيات الانعزالية الدخيلة تحت شعار «استقلالية الذات»، بحيث تحوّلت الكثير من البيوت إلى بيوت مفرغة من محتواها، أشبه ما تكون بفنادق لا يرى أفرادها بعضهم إلا لمأماً، فكان من نتائج ذلك؛ أن تبدّلت الأعراف والتقاليد التي هي جزء في بناء الأسرة وسبب في استقرارها وتلاحمها، ويكفي أن نضرب مثلاً بأوقات الوجبات اليومية التي هي اجتماع حميمي استرشادي يومي بين أفراد العائلة، حيث اختفت معالمه فصار لكل فرد موعداً خاصاً به في الإطعام والتغذية، وكان لهذا الوضع الانعزالي النمطي المستورد؛ أثر نفسي غريب على سلوك الشباب

(١) ظواهر ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمة الاجتماعية، لمحمد عبد

شكلاً ومضموناً، في لباسهم وسلوكهم وتصرفاتهم، حتى أصبحنا نألفهم وهم يسرون في الطرقات مقهقهين صامئين آذانهم، منشغلين بما يُقَدَف فيهما من الموسيقى ولغو الحديث، وربما ينادي أحد الأبوين على ابنه أو ابنته فينهرانهما عن قصد أو عن غير قصد، وربما يسيئان الأدب معهما، وفي ذلك تعطيل لبر الوالدين وأخلاق الإسلام ومبادئه في تدبير الأسرة ورعايتها.

ولا غرابة في ظل هذا التغيّر المحموم الذي أصبح معاناة لكل أفراد الأسرة ذكوراً وإناثاً، أن تحلّ الأعراض النفسية ومشاكلها، كالكاآبة والقلق وعدم الثقة، والشعور بالوحدة والانطواء، وعدم القدرة على المواجهة اجتماعياً، وهو ما يعكس النقص في البناء والنضج النفسي الذي أحدثته التواصل الاجتماعي لدى الشباب؛ بحيث أصيبوا بنوع من الانفصام على مستوى الطموح والتصور، وهي آفات طارئة أفقدتهم طعم العلاقات الحميمة الطبيعية مع الآخرين، وقد لا يستطيعون التعبير عما في أنفسهم بسهولة ويُسر، وقد تؤدي هذه الظروف في أسوأ أحوالها إلى الانتحار بسبب الفراغ العقدي والأخلاقي المحروم.

ولعل السبب في ذلك: تقليد شبابنا للغرب في سلوكهم السيء الذي شوّه واقعنا، وأصاب المقلدين بالغرابة في أوطانهم، وبازدواج الشخصية، وثنائية المعيار، حتى وصلوا إلى ما يسمى بالسلوك المضاد، وهو «سلوك مصدره التسول من سلوكيات الأمم، وهو أرذل أنواع التسول»^(١).

(١) المسلمون وتقليد الأجانب، الانبهار بالغرب وتغريب العرب، لعاصم أحمد عجيبة، ص ٢٠٩.

ج- استغلال الجانب النفسي لدى الشباب واستقطاب نزعاتهم الجامحة التي توجهها فتوة شبابهم التي تنسجم مع طبيعة الاحتضان التي يُستقبلون بها في غرف التواصل أو الدردشة، بناءً على مفاهيم ذات أبعاد نفسية وعاطفية مغرية؛ تدعو الشباب إلى «الحميمية» و«الصدقة» و«التعارف» و«المودة»، دون ضوابط أو قيود أخلاقية تضبط هذه العلاقات، فكانت هذه المفاهيم مرجعية جديدة للاستقطاب؛ أُفرغت من محتواها القيمي والعقدي إلى فضاء يستهدف جميع الأعمار والأجناس، دون مراعاة للأعراض أو الخصوصيات العقدية أو القطرية، متجاهلة الحدود الفاصلة بين الثقافات.

ولا غرابة أن كان ظهور التواصل الاجتماعي؛ تطبيقات منهجية لنظريات نفسية مثل نظرية مثلث الحب التي جاء بها عالم النفس الأمريكي روبرت ستيرنبرغ (Robert Jeffrey Sternberg) بين الأعوام (١٩٨٦-١٩٩٨)^(١)، فيدعو إلى عولمة الحب بأشكاله المختلفة، دون اعتبار للقيود الأخلاقية والعقدية التي توجه مفهومه ومحتواه، وينظر إلى مفهوم «الحب» على أنه الوسيط الرئيس للعلاقات بين الأفراد، وأن له أهمية نفسية، حتى أصبح واحداً من المواضيع الأكثر شيوعاً في مجال الفنون الإبداعية، ومن نظيراته لمفهوم الحب على أنه البديل للعلاقات الإنسانية: أن ربّط مفهومه بغريزة البقاء، وربّط وظيفته بالحفاظ على البشر ضد الأخطار، ووضع لذلك سياقاً فلسفياً وهو اعتبار الحب فضيلة، وأنه يمثل العطف الإنساني، والرحمة، والمودة، وهو

(1) Sternberg, R. J. (1986) A triangular theory of love. Psychological Review, 93, 119-135.

محور العديد من الأديان، والفلسفات، والحركات.

وقد اختارت شبكات التواصل الاجتماعي هذا المعطى النظري ومفاهيمه المغربية في الإعداد والتوجيه، لتؤثر في عملية التبادل والتفاعل الإعلامي داخل المجتمعات بعناصرها وشرائحها، تحت غطاء المشاركة Sharing؛ مشاركة بالأفكار، والمشاعر، والتجارب، والحوار، والتفاهم، والتفاعل.

هذه المفاهيم المصطنعة التي تكتسح غرف الدردشة؛ ولّدت خَلَلاً في عواطف الشباب وتوجيه مشاعرهم وجهة غير طبيعية، مما يمثل خطراً على أمن الأسر وسلامتها النفسية على المدى البعيد.

رابعاً: شبكات التواصل الاجتماعي وضوابط الثقافة الموجهة للشباب

الثقافة الموجهة: أي التي توجه التفاعلات الاجتماعية والبواعث القيمة التي يصدر عنها سلوك اجتماعي^(١)، وتساعد الشاب المتعلم على التماشي مع روح العصر، والوقوف على أحدث النظريات والتطورات في ميدان التواصل والتربية والتعليم، ومن واجب التعليم العربي والإسلامي أن يجعل ضمن التخصصات الجامعية: «الإشراف التربوي» والإرشاد التواصلي ومقتضياته في الإعلام الجديد بإيجابياته وسلبياته، والتركيز على طرق الوقاية والتحصين بمنهج عصري مناسب، ولا بد في وضع ضوابط الثقافة الموجهة؛ من تدخل جميع المؤسسات التربوية والتعليمية ومراكز البحث العلمي في الدول الإسلامية والعربية، لتوحيد المعايير والضوابط المنسجمة مع الهوية الوطنية المحددة فيما يلي:

أ- ضابط المفاهيم:

ويقتضي الاهتمام بالمفاهيم التي تستقطب الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي، وهي مفاهيم تحمل ثقافة موبوءة توجه الشباب نحو الانحراف أو التطرف أو الزيغ، وستزداد مضاعفات هذا الوباء إن لم توضع له ضوابط صحيحة تبصر عقول الشباب وتكبح جماح عواطفهم عن الوقوع في أحضان «الفكر الضال»، وقد حان الوقت، لتخضع كثير من المفاهيم إلى إرشاد صحيح يُشرف عليه علماء الإسلام، الذين يتولون مسؤولية بيان مدلولاتها وفق مقصد الزمان والمكان، كما يجب تغيير نمطية الدور التقليدي الذي تقوم به وزارات

(١) منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، لمحمد محمد أمزيان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، ٢٠٠٨، ص ١٧٥.

الشؤون الإسلامية، وهي الجهة المعنية بالبناء الشرعي العقلي للمجتمع ابتداء من الشباب، وذلك بعدم الاقتصار على الدور التقليدي الذي يعتمد المحاضرات والتوعية فقط، إلى وضع منهج تفاعلي استقطابي وسطي معتدل في التلقين والتوجيه، يقدم للشباب في جميع المراحل الدراسية، ويعتمد على مواقع تواصلية بديلة، مدعماً بالكلمة والصورة، في مواجهة ما ينشر من وسائل الكراهية والعداء والإبادة والتقتيل وسفك الدماء، وغيرها من التُّعوت الإرهابية التي ألحقها المضللون بالدين ويؤثرون بها في عقول الشباب، دون أن تكون لديهم فرصة في مؤسسات التعليم والتربية لكي يُخضعوا هذا المنهج المتسلط لطريقة التفكير العلمي السليم، ومن واجب الاجتهاد المعاصر: وضع ضوابط للثقافة الموجّهة في المؤسسات الرّسمية تنظر في المفاهيم الاستقطابية الخطيرة التي يصنعها ويستهلكها التواصل الاجتماعي، وهذه الضرورة الاجتهادية مشتركة بين بلدان العالم العربي والإسلامي بكامله؛ لأن فيها مقاومة أخلاقية مصيرية، تستوجب التحصين والوقاية من ثقافات وافدة غير مرغوب فيها، كما تحمل دعوة إلى التربية على قيم التفكير الناقد، وأسلوب الاستقطاب الهادف، والمشاركة في النقاش والحوار من أجل بناء شخصيات ذات أبعاد وطنية تستطيع أن تميز بين ما هو صحيح وما هو خاطئ، قادرة على الانخراط بثبات في بناء أجيالٍ تتحمّل المسؤولية الوطنية والدفاع عن مبادئها وثقافتها الموروثة، مؤهلة لاتخاذ القرارات المناسبة.

ب - ضابط الوسطية والاعتدال:

إن تقديم الثقافة الإسلامية في صورتها الصحيحة والموجّهة لجميع شرائح المجتمع عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، وتخريج مزاياها الأخلاقية والسلوكية والعقدية في صورة من الوسطية والاعتدال؛ ضرب من الاستقامة التي

يجب أن تظطلع بها مؤسسات التعليم والتربية في العالم الإسلامي والعربي، دون إغفال دور الشباب وإشراكهم في ضوابطها، من خلال توفير ما يحتاجون إليه من حياة كريمة، وإشراكهم في مواجهة الفكر المتطرف الذي يتربص بمشاعرهم وأفكارهم، والتحليّ بفكرٍ إسلامي معتدل مستقيم يتداولون فضائله فيما بينهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي نفسها التي استحوذ عليها المتشدّدون في خطاباتهم، فالاستقامة في المجال التواصلي والبناء الثقافي: تعبير عن منهج «الاجتهاد في الاقتصاد»، وهو منهج يجب أن يُتعلّم ويكتسب من ثقافتنا وسيرة نبينا ﷺ، وهدي السلف الصالح في معاملاتهم؛ لبناء الشخصية المتوازنة والوسطية في أقوالها وأفعالها، وفي نقلها للخبر والمعارف والسلوك إلى الناس جميعاً، وقد أشار إلى هذا المقصد شيخ الإسلام الهروي في تحديده لمعالم الاستقامة ودرجاتها في تحصيل فكر المسلم وعلمه وعقيدته، فقال عن الاستقامة: «هي على ثلاث درجات؛ الدرجة الأولى: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، لا عاديّاً رَسَم العلم، ولا متجاوزاً حد الإخلاص، ولا مخالفاً نهج السنة»^(١).

ولابد في التربية على منهج الاستقامة والوسطية لدى الشباب من تفعيل دور المؤسسات الإعلامية والتعليمية والدينية وكراسي البحث العلمي في الترشيد الفكري، والسعي نحو فتح المجال للدعم الإلكتروني في نشر الفكر الوسطي على المواقع التواصلية الخاصة بهذه المؤسسات، ودعم الإبداعات الفنية التي تنشر فكرة الوسطية بين الشباب، مع رصد منابع الأفكار الضالة والمنحرفة والمتطرفة، والوقوف على أسبابها ومعرفة من يساعد على انتشارها، فالثقافة

(١) يرجع إلى: مدارج السالكين لابن القيم؛ ٢/١٠٤ وما بعدها، وهو شرح لكتاب منازل السائرين للهروي.

النافعة مبنية على الإخلاص والاقتصاد؛ لا تفريط ولا إضاعة، لذا وجب صيانتها بالعمل الصالح ضد أسباب الفساد والضياع في العمر والمال والدين والذات؛ كما جاء في الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزولُ قدماً عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ: عن عُمرِهِ فيما أفناه، وعن جسدهِ فيما أبلاه، وعن علمِهِ ماذا عمَلَ فيه، وعن مالِهِ مِنْ أينَ اكتسَبَهُ وفيما أنفقَهُ»^(١).

ج- وضع البرامج البديلة:

لا يمكن وضع ثقافة تواصلية هادفة للشباب؛ إلا عبر وضع برامج بديلة تهتم باحتياجاتهم وتعمل على تحقيق رغباتهم وميولهم، ومن شروط هذه البرامج: أن تكون وسائل لتحويل ملتقيات التواصل الاجتماعي من ملتقيات لإفراغ الشحنة العاطفية؛ إلى ملتقيات هادفة تنقل التجارب الخارجية، وتعزز الثقافة عن بُعد، خصوصاً لدى الطلاب الجامعيين الذين ينتظرون بدائل تطبيقية لا نظرية فقط، تعزز مناهج البحث والمعرفة، وتساعد على تحديد الاحتياجات، وتحقق هذه البرامج بدراسات ميدانية تهتم بقضايا الشباب، والوقوف على حجم تأثيرها في شبكات التواصل الاجتماعي، والبحث عن سبل التفاعل لتحديد هذه الاحتياجات وطبيعة البرامج البديلة التي تتطلب حلولاً نفسية أو اجتماعية.

(١) سنن الدارمي رقم الحديث (٤٥٣: ١)، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٤٩٣).

وفي هذا المجال لا يمكن تجاوز دور الجامعات وأقسام البحث العلمي ومنابر الفكر المختلفة وخطب الجمعة؛ في بناء الثقافة الذاتية للشباب، والإسهام في دعمها لهذه البرامج البديلة، ونقصد بالبرامج البديلة: طرق التخطيط والمبادرات التي تهتم التنمية البشرية التي يحتاجها الوطن، وتكون مصدراً للتواصل وتبادل الخبرات؛ كبناء مشروع وطني إلكتروني مثلاً، يوجه إلى الطلاب والطالبات بكافة الأعمار، ويتمثل دوره في تشجيع العمل المهني والحرفي في أوساط الشباب، يحفزهم على التفكير والتواصل حول برامج وطنية تهتم بالتقنية المهنية، وغيرها، ولا ينبغي أن تقتصر هذه البرامج على فئة محدودة من الشباب دون غيرها، بل لابد من التفكير في برامج ثقافية موجهة تشغل فكر الشباب وتحميه من آفات الفراغ، وتعمل على توفير الدعم الكافي والتخطيط المنهجي المنظم، حتى لا تضيق المواهب وإبداعاتها المختلفة، وراء تعدد الجهات وتباينها، وازدواج الأدوار في عقلية الشباب وشخصياتهم كما كرّسته وسائل التواصل الاجتماعي في شخصياتهم وأذهانهم.

د- الوطنية مقابل الاستقطاب:

بعض شبكات التواصل الاجتماعي «يوتيوب، تويتر، فيسبوك، واتس أب، WhatsApp وإنستغرام Instagram»، تدعم بالصور والفيديوهات ثقافة التغرير بالشباب واستقطابهم؛ ونزع المبادئ الوطنية عنهم وطمس معالمها وإفراغ عقيدتهم من دورها الروحي المتوازن، وتأويل الأحاديث وإخراجها عن محلها المقصود، والاستهزاء والسخرية بأهل الخير والفضل والشرف في الأمة باسم الفن والفكاهة وحرية التعبير، وأفلحت هذه الوسائل في اختراق عقول الشباب بما تبثه من أفلام ومشاهد من واقع الثقافة الغربية التي تناقض ثقافتنا، وأفلحت في التأثير في شبابنا بوسائل الانبهار بحضارتهم وحياتهم، وتقليدهم،

وإرباكهم بتعزيز ثقافة ضعف الانتماء^(١).

وليس من باب التشاؤم أو القلق إن قلنا إن شبكات التواصل الاجتماعي رغم إيجابياتها؛ فإنها أسهمت في تكثير الجرائم، وتكثير أصحاب «الفكر الضال» الذين استغلوها للتغريب بالشباب، والعمل على اجتثاث الأفكار الوطنية وثوابتها من عقولهم وشحنها بالكذب والأراجيف التي ينشرونها، وقلب الحقائق عن طريق تأويل النصوص، إلى جانب إيغار صدورهم على آبائهم وأمهاتهم وولاية أمرهم بالنسفيق والتكفير، حتى كثر ظاهراً كره الوطن وأهله إلى درجة النفور والهرب من الوالدين أو الانقطاع عن العمل والدراسة، إلى جانب تورط آخرين في التسلل إلى مواطن الفتن.

ولا يفهم من ذلك الدعوة إلى مقاطعة واستهداف هذا النوع من الإعلام مطلقاً، فحرية التعبير عن الرأي حق إنساني، ولكن لا بد أن تكون مبنية على القواعد الأخلاقية والقانونية، ومعرفة الضوابط والحدود التي تقف عندها، فلا حرية بنشر الفساد والفتن، ولا حرية للمساس بمعتقدات الآخرين، وممارسة هذا الحق تحتاج إلى المعرفة وإدراك أسباب الحكمة، كما قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالذي يستهدف ويقاطع هو المد الإعلامي المتسلط، الذي يشجع على حرية التهجم السافر على ثوابت الوطن وثقافته، فلا بد من مواجهة هذا الإعلام عبر المواقع نفسها، بوطنية قوية، ووازع ديني يناسب تصورات الجيل

(١) يرجع إلى: العولمة الأمريكية والتربية العربية، لحكمت البراز، دار جليس الزمان، ص ٩١، و: العولمة: ذلك الخطر القادم، أسبابها، تداعياتها الاقتصادية، آثارها التربوية، لمصطفى رجب، ص ١٦٤.

الحالي، وتقع مسؤولية هذا على الإعلاميين؛ في إبراز مكانة الوطن والدفاع عنه بالكلمة الطيبة، والردود المؤثرة، وتشجيع المبادرات الوطنية والعمل على شد أزرها والوقوف معها في الشدائد لتحقيق الأمن والاستقرار لها، واستحضار مسؤولية الوطن خصوصاً في مثل هذه الظروف التي تعيشها الأمة العربية، والتي تستوجب انخراط الإعلام الهادف في الدفاع عن العقيدة والأرض والشعب وقيادته.

خامساً: التفاعل الإلكتروني وإذكاء الطموح الذاتي للشباب.

أفضل وسيلة لصيانة الشباب من الانعكاسات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي: العناية والاهتمام بخلق البدائل التي تحافظ على طموحاتهم الذاتية؛ كالتنمية الاجتماعية وإنعاش التشغيل.

فطموح الشباب من العوامل المهمة المميزة للشخصية التي يجب ترسيدها والعناية بها، وتوظيفها في التفاعل الإلكتروني الموجه نحو خدمة الشباب أنفسهم، فبقدر ما يكون الطموح هادفاً، بقدر ما يكون المجتمع متقدماً، وتكون شخصية الشباب متميزة.

أ- دور التنمية الاجتماعية في تعزيز طموح الشباب:

لا يمكن فصل التنمية الاجتماعية عن ثقافة الشباب، وعن تواصلهم مع محيطهم الداخلي والخارجي، كما لا يمكن تعزيز ثقتهم وطموحاتهم إلا بتشجيع المبادرات والبرامج الوطنية الموجهة لإنعاش تشغيلهم وإشراكهم في التنمية الاجتماعية التي يحتاجون إليها، ومن هذه المبادرات التنموية:

- ١- تعزيز برامج الإدماج والتأهيل.
- ٢- إنعاش الوساطة في سوق العمل، وذلك عن طريق هيكلة مؤسساتية أكثر انسجاماً، تركز على مشاركة الشباب في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للبلاد.
- ٣- مساعدة الشباب على الاندماج في الحياة النشيطة والجموعية، وتقديم المساعدة لأولئك الذين تعترضهم صعوبة في التكيف المدرسي أو الاجتماعي أو المهني.

٤ - تيسير دخول الشباب للثقافة والعلم والتكنولوجيا، والرياضة والأنشطة الترفيهية، مع توفير الظروف المواتية لتفتق طاقاتهم الخلاقة والإبداعية في كل هذه المجالات.

ولابد من تغيير تصورنا عن التنمية الاجتماعية الموجهة للشباب؛ فما زالت بعض المجتمعات تعتبر الشباب عبئاً عليها، وهى تصورات خاطئة، بل يجب التعامل مع الشباب كطاقة فاعلة في التنمية المجتمعية، وهو ما يقتضى بلورة استراتيجية شاملة تضع حداً لتشتت الخدمات القطاعية المقدمة لهم، وذلك باعتماد سياسة تنموية تتناغم مع متطلباتهم.

ب - إيجاد ثقافة الريادة (العمل الحر) لدى الشباب، عن طريق البرامج التعليمية بدعم من الحكومات والجامعات، تساعد الشباب على تنمية الفكر الريادي، واكتساب المعرفة والمهارات اللازمة من أجل الإسهام بشكل فعّال في الاقتصاد الوطنى عبر بوابة التواصل المعلوماتى.

وتتوقف ثقافة الريادة على تنظيم متديات، وعلى الاستفادة من تحليل المنظرين والمفكرين الاجتماعيين لتطبيقات الإعلام الجديد؛ في إطار المرحلة التاريخية الراهنة التى تعيشها الإنسانية، والاستفادة من المعطيات النظرية للفلسفة الغربية التى تُنظر لهذا الاتصال في شكله الجديد «الرقمى، الافتراضى»؛ على أنه مفهوم جديد مرادف لديمقراطية افتراضية كونية.

ولذلك وجب تفعيل ثقافة الريادة عن طريق وسيلتين:

١) إيجاد ساحة مبتكرة للحوار في العالم العربى؛ تركّز على دور الإعلام المحلى كشريك في تحقيق الرؤية الطموحة للمجتمع، ويمثل الإعلام الاجتماعى فيها جزءاً عاملاً ومؤثراً ضمن هذه المنظومة.

٢) إبراز دور الدولة في الاهتمام بوسائل التواصل الاجتماعي وتعزيز وظيفتها كأدوات تفاعلية لإشراك المجتمع؛ انطلاقاً من كون «وسائل التواصل الاجتماعي اليوم أصبحت قوة مؤثرة، وبرلماناً مفتوحاً، وإعلاماً لا يمكن الالتفاف عليه»^(١).

ج- تشجيع نهج الابتكار:

لم يعد منهج التواصل التقليدي الذي يعتمد الاستهلاك؛ كافياً في اكتساب المهارات، بل لابد من تشجيع نهج قائم على الابتكار في كل مضمار، وتوظيف التقنية في خدمة المجتمع، واعتماد مختلف السبل التي تمكنها من التواصل مع أوسع شريحة من الشباب، ولعل توظيف التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي في تغيير النظرة التقليدية للشباب (من كونه متلقياً للخدمات إلى اعتباره متعاملاً وشريكاً في عملية التطوير الشامل للمجتمع)؛ سيسهم في دعم نهج الابتكار، وفي الدفع بمبادرات الشباب نحو المشاركة الفاعلة، ويمكن تحقيق ذلك عن طريق الوسائل التالية:

١) دعم المبادرات الفردية عبر التواصل الاجتماعي؛ كبرامج التنمية المحلية التي تهدف إلى تعزيز دور الشباب وانخراطهم في تطوير أنشطة فنية ورياضية داخل أحيائهم، وإعداد الخطط وتقديم الخدمات الترفيهية الهادفة.

٢) تقوية الإرادة وزيادة الخبرة لدى الشباب عبر التواصل الاجتماعي؛ للقيام بمشاريع مُدرة للدخل ورافعة لمستوى المعيشة؛ بحيث يدرّب المشاركون

(١) صاحب السمو محمد بن راشد آل مكتوم:

في البرامج؛ على الجدوى الاقتصادية والاجتماعية، وإشعارهم بأن «مرحلة الشباب لها ضغوطات عاطفية، مع ارتفاع في معدلات البطالة، وذلك يزيد كمية وقت الفراغ، وضياح الإنتاجية واستثمار الطاقات»^(١)، ولذلك رأى المنظرون الاجتماعيون أن التنمية والابتكار لهما دور في دفع أسباب الجريمة والفقير والبطالة عن المجتمع^(٢).

(١) البداينة، ذياب موسى: التنمية البشرية والإرهاب في الوطن العربي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠١٠، ص ٦٥.

(2) Carcach, C. (2000) Regional Development and Crime, Trends and Issues No 160, Australian Institute of Criminology.

الخاتمة

لم يكد العالم العربي ليستوعب مفهوم التواصل، حتى فاجأه ظهور شبكات التواصل في الإعلام الرقمي الجديد مع بداية الألفية الجديدة دون استعداد معرفي يحتمى به، فرغم ما يتصف به هذا النوع الجديد من قيم علمية ومعرفية، ودوره في رفع مستوى الوعي لدى الشعوب، وتبسيط الولوج إلى المعرفة باحترافية كبيرة، فإن هذه الشبكات أفرزت قيماً جديدة سلبية في عدد من المجتمعات، ومنها المجتمعات العربية والإسلامية، وأهم مظاهر هذه القيم السلبية: تغليب النزعة الاستهلاكية لهذه الوسائل، دون مراعاة للخصوصيات الروحية والثقافية للشعوب، فتزايدت الشكوى من التأثير السلبي لها على أخلاقهم في أقطار العالم، وبخاصة في البلاد العربية والإسلامية.

لذا كان هذا البحث مناسبة للوقوف على أشكال النزعة الاستهلاكية لهذه الشبكات، على حساب النزعة العقدية والهوية الوطنية للشباب المنخرط في برامجها، وقد حاولنا أن نقف على عدد من المقترحات النظرية والتطبيقية التي يمكن أن تقلص من حدة القلق الذي بدأ يصيب المجتمعات والأسر، والإحباط الذي أصبح يرافق عملية التواصل الاجتماعي وتهديدها لمسار الثقافة الوطنية الهادفة، وأذكر من هذه المقترحات ما يلي:

(١) العناية بالدورات والندوات العلمية المتخصصة في التواصل الاجتماعي بهدف توعية الكوادر العلمية من جهة، وتدريب الطلبة الشباب على نقل الأفكار وطرق التحاور المفيد.

(٢) ضرورة وجود المرشدين التربويين الإعلاميين في الجامعات والمؤسسات العمومية، لمساعدة الشباب على الإرشاد والتوجيه في

وسائل التكنولوجيا الحديثة، وإشعارهم بمنافعها ومضارها، وتمكينهم من المهارات اللازمة والحصانة المطلوبة.

(٣) الاهتمام بالجانب التطبيقي لموضوع التواصل الاجتماعي، وعدم الاقتصار على الجانب النظري، بحيث يأخذ الموضوع حظه من التحليل والمناقشة.

(٤) استغلال مواقع التواصل الاجتماعي في تعزيز الثقافة عن بُعد، ونقل التجارب الخارجية التي تهتم الطلبة والأساتذة على حد سواء.

(٥) التواصل والتنسيق بين المختصين في دراسة الفكر التواصل في العالم العربي والإسلامي ومعالجته بما يخدم الحوار الهادف والتعارف المفيد.

(٦) تشجيع برامج التنمية الاجتماعية ومبادرات الابتكار بين الشباب، وجعلها موقعاً للتداول والنقاش فيما بينهم.

(٧) التفكير في خلق شبكات عربية بديلة تهتم بمواضيع الشباب في مستوياتهم المختلفة، وتراعي الخصوصيات الفكرية والمعرفية، وتمتع بروح استقطابية مقنعة.

وأرى أن البحث في موضوع وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيراتها على الشباب العربي؛ مشروع حضاري مشترك كفيلاً بإخراج المشهد الإعلامي الإسلامي المعاصر من حالة الاحتكاك والتلقي السلبي، إلى مستوى الانخراط في بناء مشروع فكري حوارى وتواصلى ينفذ شبابنا، ويضمن لهم الأمن الاجتماعي الحقيقي، فالأمن الاجتماعي مصلحة وطنية حيوية تشدها الدول بأجهزتها ومؤسساتها، مجتمع آمن من الآفات التي تهدد بنيانه بالتصدع وكيانه

بالأخطار: كالجهل والفقر والمرض، والمخدرات والجرائم والانحراف السلوكي، مجتمع يزدهر فيه التعليم وتتسع مجالاته وينمو الاقتصاد نمواً شاملاً سليماً، ويطمئن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومستقبل أولادهم، مجتمع يحقق فيه التواصل معاني الأخوة وروح التعاون بين أفرادها، فتؤدّي الحقوق، ويسود العدل ويختفي الظلم، وتتأسس شبكة من العلاقات الاجتماعية بين الشباب على الثقة والتفاهم والانسجام، فتكون ثمرة منتجة متعاونة على خدمة الدولة والمجتمع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إدمان الإنترنت في عصر العولمة، محمد النوبي محمد، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- الأسرة في زمن العولمة، د. فاطمة نصيف، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، عباس مصطفى صادق، دار الشروق، الأردن، ٢٠٠٨.
- الإعلام الجديد: دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة، عباس مصطفى صادق، مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ٢٠٠٧.
- الإعلام والعولمة والهوية، المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- البناء الاجتماعي أنساقه ونظمه، معن خليل، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٣، الأردن، ١٩٩٩.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير: دار الجيل، بيروت، ٢١٨/٤.
- التنمية البشرية والإرهاب في الوطن العربي، البداينة، ذياب موسى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠١٠. الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- الثورة التكنولوجية في التربية العربية، عبد الدائم عبد الله، بيروت، دار

- العلم للملايين . ١٩٧٤ .
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ١٦ / ٣٤٢ .
 - حكم الاختلاط وآثاره، ناصر العمر، مؤسسة نور الإسلام، ١٤٢٥ هـ .
 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألويسي المجلد التاسع، ج ١٣ - ١٤ / ٣١٣ .
 - سنن الدارمي، أبي محمد عبد الله، تحقيق: حسين سليم أسد، دار ابن حزم، دار المغني، الرياض .
 - الصناعات الإبداعية، جون هارتلي وآخرون، ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي، عالم المعرفة، الكويت ١، ٢٠٠٧ .
 - ظواهر ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمة الاجتماعية، محمد عبد الفتاح، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٩ م .
 - علم الاجتماع الآلي، علي محمد رُحومة، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٨ .
 - علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، مهنا، فريال، ط ١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢ .
 - العولمة ذلك الخطر القادم، أسبابها، تداعياتها الاقتصادية، آثارها التربوية، مصطفى رجب، الوراق للنشر،

- العولمة الأمريكية والتربية العربية، حكمت البزاز، دار جليس الزمان، الطبعة الأولى، عمان، ٢٠١١م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، طبعة دار صادر، بيروت.
- مدارج السالكين بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين»، لابن القيم الجوزية، وهو شرحٌ لكتاب: منازل السائرين للهروي، دار الكتب العربي، ١٩٩٤.
- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- المسلمون وتقليد لأجانب، الانبهار بالغرب وتغريب العرب، عاصم أحمد عجيلة، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر.
- مفهوم البناء وأثره النظري في اكتساب المهارات، كَرُوم أحمد، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١، المجلد ٣٨، ٢٠٠٩.
- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، محمد محمد أمزيان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، ٢٠٠٨، ص ١٧٥.

- المؤتمر الدولي العاشر حول (وسائل التواصل الاجتماعي .. التطبيقات والإشكالات المنهجية) ٩-١٠ مارس ٢٠١٥.
- موقع مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم:

<http://www.mbrf.ae/ar/projects/Pages/dardachat-social-media.aspx>

المراجع الأجنبية

- Anthony Giddens, (1986), *The Constitution of Society*, University of California Press.
- Carcach, C. (2000) "Regional Development and Crime." *Trends and Issues* No 160, Australian Institute of Criminology.
- Charles Horton Cooley (1998), *Hans-Joachim Schubert, On self and social organization*, University of Chicago Press.
- FAUVET (Jacques),(1990), *l'informatique et la vie privée*, R.D.P..
Pari
- Martin Lister, *et al.* (2009), *New Media: A Critical Introduction*, London, Routledge, 2nd ed.
- Ove, K, (1997) "The Impact of Globalization on Adult Education." *Globalization, Adult Education & training: Impacts & Issues*, edited by Shirley Walters, Zed Books, London, New York.
- Suarez-Orozco, M.(2004), *Globalization: Culture and Education in the New Millennium*, University of California Press.
- Sternberg, R. J. (1986) "A triangular theory of love", *Psychological Review*, 93,pp 119-135.